الماوردي وآراؤه التربوية من خلال كتابه"أدب الدنيا والدين"

According to"Elmawardy"in his book littérature of the work and religion.

د. تيقرين حورية جميلة*
جامعة الجيلالي بونعامة– خميس مليانة.
houria1961h@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/02/26 تاريخ القبول 2023/04/25 تاريخ النشر 2023/05/14

ملخص الدراسة: هدفت الدراسة الحالية إلى تسليط الضوء على أبرز أعلام الفكر الإسلامي في الحقل التربوي، إذ يعد من النماذج المشرفة ممن ساهموا في بناء الحضارة الإسلامية وكان ممن لهم فضل السبق في المناداة بالكثير من المبادئ التربوية الهامة، قبل أن تنادي بها التربية الحديثة والمعاصرة بعدة قرون، وهو من العلماء الأفذاذ، إنه الإمام الجليل أبو الحسن الماوردي، صاحب التصانيف الحسان، في الفقه التفسير والحكم و السياسة، والأخلاق والتربية.كما هدفت أيضا إلى الكشف عن أرائه التربوية والتعليمية المتميزة بالواقعية والشمول، وأنه اهتم وحرص بشدة على تربية وتنمية جوانب الشخصية لدى المتربي من جهة أولى ومن جهة ثانية اهتم بجوانب التربية في شخصية المجتمع، كما اهتم بعناصر العملية التعليمية، وبقطبيها المعلّم والمتعلّم، حيث اعتمد على مبادئ الدين الإسلامي واستشهد بالقرآن الكريم، والحديث الشريف، كما اعتمد على الدين والأخلاق اللذان يمثلان الأساس المتين للتربية الإسلامية عامة وتأكيده على ضرورة التمسك بها في العملية التعليمية.

الكلمات المفتاحية: الماوردي، الآراء التربوية، أدب الدنيا والدين.

Abstract:

* المؤلف المراسل

The present study aims at shedding light on the most famous and prominent flatues of islamic thought in the educational field.
His work has been among the most interestig and honovable model and semples that helped in the development of islamic culture and civilization.it has gréât rôle in highligpting the educational principles cetwrics before modern education. Elmawerdi introduced Elhassam classification in jusic pudence, doctrine, interpretation, polihies and education. This study also seeks to discover his real, comprehousive educational opinions and thoughts. Elmawardi interested in developing the personality of the from one side, and education in society from another hand.Additonally, he interested in teaching and learning processe(learner, teacher).
His work, and Studies are based on Islamic principles, morals, religion, and hally coran which are necessary aspects and Jedurs in Islamic éducation and frocers.

Key words: Elmawerdi, Educational opinios, literature of the world and religion.

مقدّمة:

التربية هي الأداة الرئيسية في إعداد الأفراد وتنميتهم، وفي إصلاح الأمم وبنائها، وفي تأسيس الحضارات وترقيتها. وذلك لأنها استثمار ما في المجتمعات من ثروات بشريه. ولأنها، ومن خلال هذه الثروات، ترسي دعائم التقدم والرقي والازدهار. ولذلك كان لابد منها لسلامة الحياة الاجتماعية واستقرارها أولا ثم لسعادتها ثانيا[1].

وحتى تنجح التربية في تفجير طاقات الأفراد، واستثمار إمكاناتهم إلى أقصى ما يمكن، لإفادة مجتمعهم والإنسانية جمعاء، عليها أن تنجح في إرساء المبادئ التربوية الصائبة، للانطلاق منها والبناء على أساسها، وأن تنجح أولا وقبل كل شيء في بناء الأفراد من داخلهم، وزرع الثقة في نفوسهم، من أجل تحقيق ذواتهم وتطوير أنفسهم ومجتمعهم.

وهذا ما قامت به التربية الإسلامية، أول ما قامت، وعلى يد النبي الكريم والرسول مربي- صلى الله عليه وسلم- في إصلاح النفوس إعادة بنائها البناء المعنوي المتين،حيث كان هذا البناء هو الأساس في ظهور ونبوغ نخبة ممتازة من موهوبي ومفكري وعلماء المسلمين، في شتى المجالات، ومن ثم في ظهور الحضارة الإسلامية وازدهارها في كافه الميادين أيضا.

وبهذا خلفت لنا التربية الإسلامية تراثا تربويا إسلاميا، له قيمته العلمية والحضارية والدينية.... ذلك التراث الذي نجده في القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وفيه فقه الفقهاء، وفكر المفكرين، وفي فلسفة الفلاسفة وأدب الأدباء[2]

وفي الفكر التربوي الإسلامي نماذج مشرفة ممن ساهموا في بناء الحضارة الإسلامية، وكان لهم فضل السبق في المناداة بأهم المبادئ التربوية، قبل أن تنادي بها التربية الحديثة والمعاصرة بعدة قرون، ومن تلك النماذج- نذكر على سبيل المثال- ابن سينا، وأبو حامد الغزالي، وابن سحنون، والقابسي، وابن جماعة، والماوردي، والعبدري، وابن خلدون....الخ.

ومن أولئك المفكرين الأفذاذ الإمام" أبو الحسن الماوردي، صاحب التصانيف الحسان، في الفقه والتفسير، والحكم والسياسة، والأخلاق والتربية، منها: «التفسير، والحاوي، الأحكام السلطانية، وقانون الوزارة، وسياسة الملك، ومعرفه الفضائل، وأدب الدنيا والدين» [3] ذلك الإمام الذي عاش حياته(364-450هـ/974-1058م[4]، في عصر تميز بالقوة والازدهار، وهو العصر العباسي، وساهم فيه مع غيره من العلماء المسلمين في إثراء الفكر التربوي الإسلامي، حيث قدّم آراء وأفكار مهمة جدا في التربية، توّد هذه الدراسة الكشف عنها. وذلك تحت عنوان: الآراء التربوية للماوردي، كما جاءت بكتابه " أدب الدنيا والدين"، ويمكن التعرف لأهم الآراء التربوية" للماوردي من خلال الإجابة عن عدد من التساؤلات التي تفيد التربية والتربويين.

تساؤلات الدراسة: تحاول الدراسة الحالية الإجابة على التساؤلات التالية: من هو الماوردي؟، ما أهم المؤثرات التي أثرت في فكر الماوردي، وما إسهامه العلمي التربوي؟

ما أهم الأفكار التربوية المتضمنة في كتاب الماوردي آداب الدنيا والدين؟ كيف يمكن الاستفادة من آراء الماوردي التربوية في التربية والتعليم في الوقت المعاصر؟

أهميه الدراسة: تبرز أهمية الدراسة على النحو التالي: التعريف بواحد من رجال ورواد الفكر التربوي الإسلامي في القرن، وكذلك إبراز إسهامات الماوردي في مجال التربية

والتعليم، كما تعد هذه الدراسة محاولة لاستخراج أهم الأفكار والمبادئ التربوية المتضمنة في مؤلف" أدب الدنيا والدين" للإمام الماوردي، بالإضافة إلى الكشف عن ما قدمه الماوردي للفكر التربوي من قواعد وأفكار تربوية وتعليمية يمكن الاستفادة منها في الوقت الحاضر، و**منهج الدراسة متمثل في** المنهج الوصفي حيث يتم جمع أراء الماوردي التربوية ودراستها في كتابه" أدب الدنيا والدين" التي تجيب على أسئلة الدراسة، بعد تصنيفها بطريقه علميه يمكن تعميمها وتطبيقها والاستفادة منها في واقعنا التربوي والتعليمي المعاصر

أولا: التعريف بالماوردي: وذلك من خلال التعرف على نسبه ونشأته وحياته وظروف عصره **و** شخصية الماوردي وكنيته: وتتضح في:

أ- اسمه ونسبه وولادته: هو الإمام الجليل: أبو الحسن علي بن محمد ابن حبيب البصري، المعروف الماوردي. كنيته: أبو الحسن، ولقبه: الماوردي، نسبه إلى بيع ماء الورد، ولد بالبصرة في عام974م/364. ونشأ فيها.

ب- نشأته: نشأ بالبصرة وتلقى تعليمه بها. ثم انتقل إلى بغداد حيث وصل تعليمه في دراسة الفقه والحديث وغيرهما من العلوم. وقد امتدت حياته من عام مولده سنه364ه حتى مماته سنه450ه وله من العمر 86 عاما، وهذا يعني أنه عاش خلال الثلث الأخير من القرن الرابع الهجري والنصف الأول من القرن لخامس هجري. وهي الفترة التي كانت الثقافة الإسلامية في قمة ازدهارها.

2- حياته العلمية: هو علم من أعلام الفكر الإسلامي وأكبر فقهاء الشافعية يقول عنه" تاج الدين السبكي" في طبقات الشافعية الكبرى كان إماما جليلا له اليد الباسطة في المذهب والتفنن التام في سائر العلوم.ويقول عنه "الخطيب البغدادي" في تاريخ بغداد انه كان من وجوه الفقهاء الشافعيين، له تصانيف عدة في أصول الفقه وفروعه وغير ذلك،وأشرع بعد أن شهد له الجميع بالنبوغ والاجتهاد، يتخذ لنفسه حلقة يقصدها طلاب العلم وذوو المكانة فيه، يشرح لهم أصول الفقه وقواعده، والسياسة وأحكامها،

والخلافة وموجباتها، والوزارة والولاية والدواوين..... وكل يشهدون بسعة اطلاعه وينتفعون باستنباطاته، وهكذا اشتغل بالتدريس عده سنين في البصرة وبغداد.[5]

3- شيوخه و أساتذته: تلقى الماوردي تعليمه على يد شيوخ وأساتذة عديدين نذكر منهم" الحسن بن علي محمد الجبلي" و " محمد ابن الفضل البغدادي"، "ومحمد بن المعلي الأزدي"، و" أبو حامد أحمد ابن أبي طاهر الأسفراييني"، وأبي الدقاق المعروف بابن" المارستاني".[6]

توليه القضاء: تذكر كتب التاريخ أن الماوردي تولى القضاء في بلدان كثيرة، ويقول عنه ياقوت الحموي أنه كان يلقب بأقضى القضاة. وكان رئيس القضاة في إحدى نواحي نيسابور. واختير سفيرا بين رجالات الدولة في بغداد وبني بويه من(381ه- 422ه) فكانت له منزله كريمه عند الخليفة القادر عند آل بويه كذلك.[7]

مؤلفاته: للماوردي مؤلفاته الكثيرة. كما قال عنه ابن كثير: صاحب التصانيف الكثيرة في الأصول والفروع والتفسير.[8] وذكر الحنبلي: " من أشهر مؤلفات الماوردي، الحاوي، وكتاب" الأحكام السلطانية"، و"الاقتناع" وهو مختصر يشتمل على غرائب، والتفسير، وهو ثلاثة مجلدات، و"أدب الدين والدنيا"[9]، وأضاف الحموي، " قانون الوزارة وسياسة الملك"، و"الأمثال والحكم"، و"أعلام النبوة"[10]وتوفي الماوردي ببغداد في عام 450ه/ 1058م، وكان قد بلغ ستا وثمانين سنة هجريه.[11]

الكتاب: عنوان الكتاب: " أدب الدنيا والدين"[12]وكلمة" أدب" وردت في اللغة العربية بعده المعاني، بعضها مرادف للتربية، والأخر قريب منها، فاستخدمت بمعنى: التعليم، الخلق الحسن، ورياضة النفس على المحاسن بالتعليم والتهذيب على ما ينبغي، وجملة ما ينبغي لذي الصناعة أو الفن أن يتمسك به- كآداب القاضي، وأدب الكاتب، وأدب العا لم.[13]

ووردت في السنة النبوية بمعنى مساو أو قريب جدا من معنى التربية، وذلك في قوله- صلى الله عليه وسلم- : « أدبني ربي فأحسن تأديبي»، واستخدم اللفظ- بعد ذلك-

بمعنى التربية والتعليم واشتق منه بهذا المعنى لفظ" المؤدب" لمن كان يقوم بتعليم أولاد الخلفاء وتهذيب أخلاقهم، وكان محتوى التعليم آنذاك: الشعر والخطب أخبار العرب وأنسابهم و أيامهم في الجاهلية، وغير ذلك من ألوان التثقيف والتهذيب.[14]

وجاء الكتاب في خمسه أبواب: الباب الأول: في فضل العقل وذم الهوى، الباب الثاني: في أدب العلم، الباب الثالث: في أدب الدين، الباب الرابع: في أدب الدنيا، الباب الخامس: في أدب النفس، والمتصفح للكتاب، يجد في طياته وعبر صفحاته الدعوة لمكارم الأخلاق، والحث على طلب العلم، ووجوب التّحلي بكل منهما، والسير في هذا على هدي القرآن والسنة. ومن الملاحظ أن كلمة« تربية» هي الكلمة المتداولة الاستخدام حاليا، والتي يعود إليها المعنى الذي يريده" الماوردي" تقريبا من كلمه" أدب"[15]فالكتاب إذن، من عنوانه ومحتواه، هو كتاب في التربية، وضع لهذا الغرض. ولذلك اختارته الباحثة موضوعا لهذه الدراسة

ثانيا: المؤثرات التي أثرت في فكر الماوردي وإسهامه العلمي التربوي.

العوامل المؤثرة في فكر الماوردي: تأثر فكر "الماوردي" بالعديد من العوامل المحيطة به والسائدة في عصره منها السياسية والاجتماعية والفكرية والدينية أما العامل السياسي:

لقد عاش الماوردي في ظل أوضاع سياسيه مضطربة، جاءت من تفكك الدولة العباسية، حيث بدأت حياته مع بداية حكم" الطالع لله" : الذي استمر سبع عشرة سنه، وازدادت في عهده حالة البلاد سوءا. ووقع الخلاف بين السنة و الشيعة. ودخل "عضد الدولة البويهي" بغداد، وعزل القادة وتولى السلطة. ثم قام "بهاء" "الدولة"وقبض على الخليفة وأهلكه سنة 991م وظل الأمر في اضطراب وقلق يعكس ضعف الخلفاء الخلافة، إلى أن تولى القادر بالله عام 381هـ، واستقرت الأمور نسبيا في عهده الذي طال وامتد إحدى وأربعين سنة، ولقد عانى القادر من البويهيين وتسلطهم ولولا قوة شخصيته واستناده على العلماء واستغلاله العوامل المختلفة. ما حكم "القائم بالله" الذي تولى عام 422هـ، وحكم خمسا و 40 سنة.[16] يمكن القول أن عصر "الماوردي" كان عصر اضطراب وفتن

وصراعات سياسية، إلا أنه تميز بالاستقرار النسبي الظاهري، في ظل حكم"القادر بالله" و" القائم بالله"، رغم الفتن والصراعات التي نشبت بين السنة والشيعة، ورغم التنازع والنزاعات بين الأمراء والوزراء مع ضعفهم.

ولذا نلمح في فكر" الماوردي"، إبداعا في السياسة والفقه، حاول أن يؤكد الخلافة ويؤكد ضرورة وجودها، وفي نفس الوقت يوجه النصائح للملوك والوزراء في محاولة لإيجاد جو الاستقرار، وفي نفس الخط كان يحاول أن يجمع الأمة على رمز واحد وخط واضح مستقيم هو خط الإسلام، كما نلاحظه ونقراه في كتابه أدب الدنيا والدين على وجه خاص.[17]

أما عن العامل الاجتماعي:فقد ظهرت طبقة اجتماعية هي مزيج من العرب والترك والفرس والروم، نتيجة امتزاج العرب بالشعوب المغلوبة، أو الشعوب النازحة، أو المحتلة، بسبب من الأسباب. ولقد انفتح المجتمع العباسي على حضارات تلك البلدان.[18]

ومن هنا جاءت كتابات الماوردي مزيجا من الثقافات الوافدة. سواء أكانت هندية أم يونانية أم غير ذلك. وكلها متجاورة مع ما هو عربي وإسلامي[19]. قد أدى هذا المزيج من الأجناس، إلى العيش في تآلف ووئام، في مجتمع يقوم على المؤاخاة. فكتب حينها- في كتابه" أدب الدنيا والدين" فصولا عن الألفة وأسبابها، أو العوامل المؤدية إليها[20]

العامل العلم والفكري: ظل التيار العلمي والحضاري(فكريا وماديا) في القرن الرابع والخامس الهجري سائرا في طريقه لا يعرف التوقف، حيث ظهرت"موسوعات" التاريخ والأدب واللغة، وقد تألق في هذا القرن- القرن الخامس الهجري-، عدد كبير من العلماء والأدباء والمفكرين المبرزين الذين بقي إنتاجهم الأدبي مثال إعجاب النقاد والدارسين.[21]

وقد شهد العصر ازدهارا ملحوظا لكافة الفرق الإسلامية والعلوم المختلفة....... من علوم الحديث والفقه، والنحو و الصرف، والتاريخ، والفلسفة فكان لتلك العلوم المذكورة أعلام من كافة الأقطار والبلدان كانوا علامات مضيئة في تيار الفكر الإسلامي العام في

هذا العصر، وهكذا عرف القرن الخامس الهجري ازدهارا في الحركة الفكرية ووجود نهضة علمية حقيقية، شملت كافة أقطار وأمصار العالم الإسلامي في هذا العصر.

كما عرف هذا العصر تشجيع الخلفاء والأمراء للعلماء والفقهاء والأدباء، وشيوع المناظرات بين الفقهاء وبين علماء الكلام، وظهور الجماعات العلمية، وازدهار حركة التأليف، وازدياد حركه نقل الكتب، مع تنافس العواصم الإسلامية في هذا المجال، وشغف الناس بالعلم على مستوى الخاصة والعامة، وفي وسط هذا الجو وهذه البيئة عاش الماوردي منتميا إلى عصره بكله، وعكس فكرة كل خصائص عصره.[22]

العامل الديني: فكان أشد العوامل أثرا في فكر الماوردي وأكثرها وضوحا في كتاباته. فذلك -على سبيل المثال- كتابه الحاوي في الفقه، المكون من اثنتي وعشرين مجلدا، ضمنه فتاويه في الطهارة والوضوء، والصلاة والصيام والزكاة والحج.... فكان حاويا- فعلا- لما يلزم المسلم من معرفة لأمور دينه، وماينفعه في دنياه وأخراه. والمتصفح لكتابه أدب "الدنيا والدين" يراه لا يخلو موضوع من موضوعاته، من استشهاد من كتاب الله ومن سنه نبيه- صلى الله عليه وسلم.

ثالثا: أراء الماوردي التربوية ومدى الاستفادة منها في الوقت المعاصر:ستعرض الدراسة بعض الأفكار والآراء التربوية "للماوردي" ومحاولة تصنيفها كما جاءت في كتابه "أدب الدنيا والدين"، تحت تسعة محاور رئيسية، يعقبها المحور العاشر- كخاتمة تشمل بعض النتائج الموصل إليها، وهذه المحاور هي: مكانة المعلم،الهدف من طلب العلم، أنواع العلوم، جوانب التربية، أساليب التربية، آداب المتعلم وواجباته، شروط تحصيل العلم، آداب العالم، وسائل البحث عند الماوردي، ويمكن تناول هذه الآراء، بتلك المحور، على النحو التالي:

أولا: مكانة العلم: يعلي الماوردي من مكانة العلم ويرفع من قدره ولم يقل بالرغبة وطلبه فحسب، بل جعله أشرف مرغوب، وأفضل مطلوب، لما له من نفع دنيوي ونفع أخروي. فقال" اعلم أن العلم أشرف ما رغب فيه الراغب، وأفضل ما طلب وجد فيه الطالب،

وأنفع ما كسبه وقتناه الكاسب، لأن شرفه يثمر على صاحبه، وفضله ينمي على طالبه،"[23]ويستدل "الماوردي" على مكانة العلم هذه بآيات وأحاديث، وبحكم ومأثورات. فيستشهد بقول الله تعالى: « قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ»،[24] فمنع الله سبحانه المساواة بين العالم والجاهل، لما قد خص به العالم من فضيلة العلم. وقال النبي الكريم عندما سئل عن رجلين: أحدهما عالم، والأخر عابد. صلى الله عليه وسلم: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم رجلا»[25] ويستشهد الماوردي على مكانة العلم السامية بقول" عبد الملك بن مروان لبنيه: يا بني تعلّموا العلم فإن كنتم سادة فقمتم، وإن كنتم وسطا سدتم، وإن كنتم سوقة عشتم.....)[26]

ثانيا: الهدف من طلب العلم: حدّد الماوردي الهدف من طلب العلم في ابتغاء وجه الله وابتغاء مرضاته، فقال:«ويقصد طلب العلم واثقا بتيسير الله، قاصدا وجه الله تعالى، بنية خالصة وعزيمة صادقة»، وأورد الماوردي ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من تعلم علما لغير الله، وأراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار»

ثالثا: أنواع العلوم: بدأ الماوردي ببيان أفضل العلوم التي ينبغي المسلم أن يتعلمها، ولا يسعه الجهل بها، وقد قسّم الماوردي أفضلية العلوم إلى قسمين:

الأول: أولى العلوم وأفضلها علم الدين: لأن الناس بمعرفته يرشدون، وبجهله يظلون؛ إذ لا يصح أداء عبادة جهل فاعلها أدائها، ولم يعلم شروط إجرائها،[27] وهذا العلم الذي ذكره الماوردي، هو العلم الواجب على كل مسلم بالغ عاقل لا يتعلمه، فيتعلم ما أوجبه الله عليه وما حرمه الله عليه، حتى يعبد الله على علم، أما **القسم الثاني**: "فهو جملة من العلم إذا لم يقم بطلبه من فيه كفاية، وإذا كان علم الدين قد أوجبه الله تعالى فرضا بعضه على الأعيان، وفرض جميعه على الكفاية، كان أولى مما لا يجب فرضه على الأعيان، ولا على الكفاية، قال تعالى:« وما كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ»[28]

رابعا : جوانب التربية: لم يخصص الماوردي – في كتابه أدب الدنيا والدّين– بابا مستقلا، أو فضلا قائما بذاته، بعنوان« جوانب التربية» جوانب شخصية المتربي، أو جوانب الحياة في المجتمع. لكن المتصفح لكتابه والمتمعن في محتواه، يراه قد كتب في عديد من تلك النواحي، مهتما بتربيتها وتنميتها، ويمكن تناول جوانب التربية في شخصية الفرد وكيان المجتمع على النحو التالي:

أولا: جوانب التربية في شخصية الفرد

1–**الجانب العقلي**: وهو أول ما كتب عنه الماوردي في كتابه، وعليا من قدره، حيث يؤكد على أهمية الجانب العقلي في الشخصية، وتأثيره في بقيه الجوانب، إذ بالعقل السليم يعرف الإنسان تعاليم دينه ويلتزم بها، فينمو لديه الجانب الديني، وبالعقل السليم يمكنه المحافظة على جسمه وصحته، هذا وقد بين الماوردي ما للعقل من أهمية في التربية وفي تهذيب النفس التي إن صلحت صلح الفرد، وبصلاح الأفراد يصلح المجتمع.[29]

2– **الجانب الديني**: نال الجانب الديني حظا وافرا من كتابات الماوردي فحصه بالباب الثالث من كتابه، تحت عنوان« أدب الدين» وافتتحه بقوله: واعلم أن الله سبحانه وتعالى إنما كلف الخلق متعبداته، وألزمهم مفترضاته، وبعث إليهم رسله وشرع لهم دينه لغير حاجة دعته إلى تكليفهم، ولا من ضرورة قادته إلى تعبدهم. وإنما قصد نفعهم، تفضّلا منه عليهم، كما تفضل بما لا يحصي عبدا من نعمه. هذا ويرى "الماوردي" أن في العبادات نفع الدنيا والآخرة، ويرى أيضا أنه في تعلم علوم الدين، ومعرفة تعاليمه. خير كبير وتنمية للجانب الديني في الشخصية الإسلامية.[30]

3 –الجانب الأخلاقي: يتجه الماوردي في الكتاب« أدب الدنيا والدين» إلى الكشف عن الأخلاق الصالحة للفرد والجماعة، واستند فيه إلى الكتاب والسنة والأمثال والحكم، والى أقوال الشعراء والأدباء، وهو تعبير صادق عن إسهام الفكر الإسلامي في الفلسفة الأخلاقية، وبيان واضح عن أصالتها. من بين القيم الأخلاقية الرفيعة التي أوجب التحلي بها هي: الحياء، والحلم، والصدق، والمنافسة، والإصلاح، والصبر، والمشورة، وكتمان السر

، والمروءة.....الخ وحث المسلمين عامه على التمسك بها، وطالب العلماء المعلمين خاصة بالتحلي بها – لأن الناس بهم يقتدون–[31]. وقال بأن يجالس ويصادق الإنسان الأخيار الأفاضل والأتقياء الأماثل. وأورد قول النبي المصطفى– صلى الله عليه وسلم– : « المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل»[32].

4–**الجانب الاجتماعي**: كتب الماوردي عن النسب، وبدأ الحديث فيه عن الأسرة وما يقوي روابطها. وأشار إلى حب الآباء الغريزي لأبنائهم وطالبهم فيه بالاعتدال، كما طالب الأبناء ببر آبائهم. وقال: إن شرّ الأبناء من دعاه التقصير إلى العقوق، وشر الآباء من دعاه البر إلى الإفراط.[33] وأورد قول الحق تعالى:« وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا »[34]

وكتب عن الأقارب والأرحام، وعن أمر الحق سبحانه وتعالى بصلة الرحم، وثناؤه على واصلها، فقال تعالى:«وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ»،[35] كما كتب عن المؤاخاة والصداقة الطيبة وأهميتها في حياة الفرد حتى يعيش الإنسان في بيئة اجتماعية سليمة، وينمّي علاقات اجتماعية جيدة وفعّالة، فيستفيد ويفيد. ومن ثم يكون البناء الاجتماعي الصحيح والمتين للمجتمع بأكمله.

الجانب النفسي: للماوردي رأيا صريحا في هذا الجانب فيرى أن : النفس مجبورة على صفات مهملة وأخلاق مرسلة لا يستغني محمودها عن التأديب ولا يكتفي بالمرضي منها عن التهذيب لأن محمودها أضداد مقابلة يسعدها هوى مطاع وشهوة غالبة،[36]وفي هذا الصدد يحذر الماوردي بشدّة من الكبر والإعجاب: لأنهما يسلبان الفضائل ويكسبان الرذائل. كما يحذر أيضا من أسبابهما، التي منها: كثرة مديح المتقربين وإطراء المتملقين الذين جعلوا النفاق عادة ومكسبا، والتملق خديعة وملعبا.[37] وبالكشف عن الأسباب يمكن التّغلب على الغرور الذي هو آفة تصيب النفس والأخلاق، وهكذا اهتم الماوردي بالبناء النفسي في شخصيه الفرد المسلم الذي يراه مهما في تحقيق الاتزان والاستقرار النفسي لدى الفرد.

6 -الجانب الجسمي:كتب الماوردي في الفصل الأخير من كتابه- أدب الدنيا والدين- عما ينمي الجانب الجسمي ويحفظه، حيث اهتم بالحاجات الفيزيولوجية مثل الطعام والشراب اهتماما بالغا، ذلك لعظم الأثر المترتب عليها، وجعل الماوردي داعية نوعا من التقصير الذي يحاسب عليه الفرد، فهو ينكر على المتقشفين الذين يروضون النفس عن طريق حرمانها ونفا عنهم البر والزهد، ذلك بقوله" الحاجة فتدعو إلى ما سد الجوع و سكن الظمأ وهذا مندوب إليه عقلا وشرعا، لما فيه من حفظ النفس وحراسة الجسد، وليس لمن منع نفسه قدر الحاجة حظ من بر ولا نصيب من زهد[38].

وذكر أن "المادة الكافية" شرط لوجود الإنسان، ويستشهد "الماوردي " بقول الله تعالى :« وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ »[39]، فإذا عدم المادة التي هي قوام نفسه لم تدم له حياة، ولم يستقم له دين، وإذا تعذّر شيء منها عليه، لحقه من الوهن في نفسه، والاختلال في دنياه بقدر ما تعذر من المادة عليه، لأن الشيء القائم بغيره يكمل بكماله ويختل باختلاله،[40]وإن كان الماوردي يحث على إشباع الحاجات(الطعام والشراب) فإنه يدعو إلى التوازن وعدم الإفراط والتفريط لأن ذلك سبيل إلى الأمراض والأوجاع.

آداب المتعلم وواجباته:قدم الماوردي جملة من الآداب و الواجبات، التي اوجب على المتعلم الأخذ بها، سواء منها ما قدمه تحت عنوان:»» آداب المتعلم» أو ما جاء في سياق حديثه عن العلم والتعلم، موصيا بها طالب العلم.وتتلخص تلك الآداب و الواجبات فيما يلي:

1- طلب العلم ابتغاء وجه الله : فيطلب المتعلم العلم الذي يرضي الله ويبتغي به وجهه الكريم، حيث يقول" الماوردي"أن مطالبا المتعلم بان يكون بطلبه للعلم:«قاصدا وجه الله تعالى بنية خالصة وعزيمة صادقة مستدلا بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:« من تعلّم علما لغير الله، وأراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار ».[41]

ويحذّر الماوردي من أن يطلبه لمراء أو رياء، فإن المماري به مهجور لا ينتفع و المرائي به محقور لا يرتفع. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم- أنه قال:« لا تعلّموا العلم لتماروا به السفهاء، ولا يعلموا العلم لتجادلوا به العلماء من فعل ذلك منكم فالنار مثواه»[42].

- التبكير في طلب العلم: يرى الماوردي أنه: ينبغي لطالب العلم أن لا يتأخر في طلبه، وينتهز الفرصة به، فربما شحّ الزمان بما سمح، وظن بما منح،[43]فتقصير الإنسان في طلب العلم في الصغر واشتغاله به في الكبر، ومن ثم يستحي أن يبتدئ فيما يبتدئ به الصغير ويستنكف أن يساويه أو يتساوى مع الحدث ومن هنا يبدأ، بأواخر العلوم وإطرافها، ويهتم بحواشيها وأكفافها، ليعتدم على الصغير المبتدئ ويساوي الكبير المنتهي. وهذا الصنف يخادع نفسه، ويقنع بمداهنة حسه وهذا فساد في التصور، لذا فإنه لابد من البدء في التعليم في الصّغر، لأنه أوقع وأكثر فائدة ويستشهد بقول علي- رضي الله عنه-: « قلب الحدث كالأراضي الخالية ما ألقي فيها من شيء قبلته وإنما كان كذلك لأن الصغير أفرغ قلبا وأقل شغلا وأيسر تبذلا وأكثر تواضعا»[44].

3- **الاستمرار في طلب العلم**: بعد أن قال "الماوردي"بالتبكير في طلب العلم، طالب المتعلمين بالاستزادة منه والاستمرار في طلبه، لأن العلم خير، و الاستزادة من الخير خير؛ حيث قال في ذلك: «فينبغي لمن زهد في العلم أن يكون فيه راغبا، ولمن رغب فيه أن يكون له طالبا، ولمن طلبه، أن يكون فيه مستكثرا»،[45]ويطالب" الماوردي" بالاستمرار في طلب العلم، حتى وإن اقتضى الأمر إلى الهجرة طلبا له.

4- البدء بالأهم من العلوم والأخذ من كل العلوم النافعة:حيث يقول "الماوردي":« وإذا لم يكن إلى معرفة جميع العلوم سبيل- والإحاطة بجميعها معا- وجب صرف الاهتمام إلى معرفة أهمها، والعناية بأولاها وأفضلها، وأولى العلوم وأفضلها علم الدين. لأن الناس بمعرفته يرشدون، وبجهله يضلون»[46]. ويوصي "الماوردي" طالب العلم بعد ذلك بقوله:«ثم اجعل ما من الله به عليك من صحة القريحة وسرعة الخاطر مصروفا إلى علم ما يكون إنفاق خاطرك فيه مذخورا، وكذا فكرك فيه مشكورا »[47] لأن العلم أكثر

من أن يحصى، فخذوا من كل شيئ أحسنه.[48] وخذوا من كل العلوم النافعة.وكأنما يريد "الماوردي" أن يقول بحصول المتعلمين على قاعدة ثقافية عامة قبل التخصص في علم من العلوم، وهذا ما تعمل به التربية المعاصرة، حيث حصول جميع المتعلمين على تعليم إلزامي عام قبل تخصصهم في نوع منه.

5- **البدء بالأسهل و التّدرج من أوائل العلوم إلى أواخرها**: ينصح "الماوردي" المتعلم بضرورة التدرج في طلب العلم ويحذر من عواقب عدم إتباع هذه القاعدة فيقول: «واعلم أن للعلوم أوائل تؤدي إلى أواخرها، ومداخل تفضي إلى حقائقها، ليبتدئ طالب العلم بأوائلها، لينتهي إلى أواخرها وبمداخلها ليفضي إلى حقائها، وسبيل ذلك يوجه إليه "الماوردي"ولا يطلب الآخر قبل الأول، ولا الحقيقة قبل المدخل»، وإلا فإنه «لا يدرك الأخر، ولا يعرف الحقيقة»، لأن البناء على غير أسس لا يبنى والثمر من غير غرس لا يجنى»،[49] وهذا ما تطبقه أنظمة التعليم المعاصر؛ حيث التّدرج في التعليمة من السهل إلى الصعب، وذلك وفقا لما أظهرته نتائج الدراسات الحديثة في تدرج في نمو القدرات خلال مراحل عمرية معينة، ووفقا لما يناسب كلا من هذه المراحل من مناهج ومقررات .

6- التواضع للعلم و العلماء:حيث قال" الماوردي": «المتواضع من طلاب العلم أكثرهم علما، كما أن المكان المنخفض أكثر البقاع ماءا»[50] وقال: اعلم أن للمتعلم تملّقا وتذللا، فان استعملها غنم، وان تركها حرم»، ويعلّل "الماوردي "ذلك بقوله:«لأن التملق للعالم يظهر مكنون علمه، والتذلّل له سبب لإدامة صبره، وبإظهار مكنونه تكون الفائدة، وباستدامة صبره يكون الإكثار.وقد روى معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلمه قال:«ليس من أخلاق المؤمن الملق إلا في طلب العلم»،[51]و هكذا يؤكد "الماوردي "على أن في التواضع المتعلم إفادتين. إحداهما: راجعة إليه من تواضعه وتهيئة نفسه لتقبل العلم، فيكون الاستيعاب أفضل والاستفادة أكثر. والأخرى: راجعة إليه من زيادة عطاء أستاذه وجودته، فتكون الاستفادة أيضا أفضل وأكثر.

7- الأخذ عن العلماء بوعي واعتدال، وبعيدا عن التقليد الأعمى لهم والتسليم التام لآرائهم:يقول" الماوردي": بضرورة أن يعمل المتعلم عقله فيما يتعلم، ولا يقبل العلم على علته دون تفهم له وتدبّر. ولا يجره إلى ذلك انقياده الأعمى لأساتذته، وتسليمه التام لآرائهم.

8- **الاعتدال في وقت تحصيل العلم، بعيدا عن الإطالة والتقصير**:ويحث "الماوردي"-هنا- المتعلم على الجد في تحصيل العلم، مع الاعتدال في وقت تحصيله، و البعد عن الإطالة بحيث لا يصل المتعلم إلى الكلل، ولا يصاب بالعجز والملل. وحتى لا يصل به الأمر إلى إهمال التعليم وتركه.

9- **الترويح عن النفس حال الدرس**: فإذا استصعب على المتعلم قيادة نفسه، ودام منه نفور قلبه.....تركها ترك راح، ثم عاودها بعد الاستراحة.فان إجابتها تسرع وطاعتها ترجع[52]، وحثّ "الماوردي" هنا على ضرورة الترويح عن النفس حال الدرس، بأخذ فترات استراحة بين الدروس، وعدم المواصلة فيها لفترة طويلة، وذلك ما تطبّقه التربية المعاصرة اليوم، بحيث لا تشغل الدراسة كل اليوم، إنما بعضه. بل بين الدروس وبعضها فترات قصيرة للراحة والاستعداد للدرس الجديد، وفترة أطول خلال اليوم الدراسي للفسحة والرّاحة والأكل وما شابه.

10- السؤال عن كل غامض والاستفسار عن كل ملتبس: يطالب "الماوردي" هنا المتعلم بالسؤال و الاستفسار للحصول على المعرفة، والوصول إلى الحقيقة، وليزيل عن نفسه شبهة الالتباس وعدم الفهم؛ حيث يقول؛ فينبغي أن يزيل تلك الشبهة عن نفسه بالسؤال و النظر ليصل إلى تصور المعنى وإدراك الحقيقة. فيشجع "الماوردي" — هنا- المتعلم على حب الاستطلاع، و البحث عن المعرفة من مصادرها المختلفة. وذلك مما تطالب به التربية المعاصرة؛ فتحرص المدرسة الحديثة على أن تربي إنسانا يتخذ من العلم مواقف وعادات تساعده على حب المعرفة، و الميل إلى الاستزادة منها و التمكن

من الطرق و الوسائل التي توصله إليها وتدفعه إلى المثابرة عليها.[53] حتى يجد مايصبوا إليه من معلومات، ويشبع فهمه مما يميل إليه من علوم وتخصصات.

11- الحرص على فهم العلم وإدراك حقيقته وعدم الاكتفاء بحفظه: يريد" الماوردي" هنا من المتعلم إلا يكتفي بحفظ المعلومات وإلا يجعل عقله مجرد آلة لحشو المعلومات، بل يتعدى ذلك إلى فهمها وإدراك مغزاها. فيقول: «وكل كلام مستعمل فهو يجمع لفظا مسموعا ومعنى مفهوما». ويؤكد على الفهم وأهميته بقوله: «وإذا فهم – المتعلّم- المعاني، سقط عنه كلفة استخراجها، وبقى عليه معاناة حفظها واستقرارها.لأن المعاني شوارد تظل بالإغفال، والعلوم وحشية تنقر بالإرسال، فإذا حفظها بعد الفهم آنست، وإذا ذكرها بعد الإنس رست »[54] أي أن فهم المتعلم للعلم يساعده على حفظه وتذكره، بالإضافة إلى إدراكه لحقيقته والمقصود به.

شروط تحصيل العلم:قدّم "الماوردي" تسعة شروط أساسية لتحصيل العلم، وذلك في قوله: فأما الشروط التي يتوفر بها طالب العلم، وينتهي معها كمال الراغب، مع ما يلاحظ به من التوفيق ويمد به من المعونة، فتسعة شروط هي كالأتي:

أحدها: العقل الذي يدرك به حقائق الأمور، والثاني: الفطنة التي يتصور بها غوامض العلوم، والثالث: الذكاء الذي يستقر به حفظ ما يتصوره وفهم ما علمه، والرابع: الشهوة التي يدوم بها الطلب ولا يسرع إليها الملل ، والخامس: الاكتفاء بمادة تغنيه عن كلف الطلب، والسادس: الفراغ الذي يكون معه التوفر ويحصل به الاستكثار، والسابع: عدم القواطع المذهلة من هموم وأمراض، والثامن:طول العمر واتساع المدة لينتهي بالاستكثار إلى مراتب الكمال، والتاسع: الظفر بعالم سمح بعلمه، متان في تعليمه، فإذا استكمل المتعلم- هذه الشروط التسعة، فهو أسعد طالب وأنجح متعلم.[55]

ومن الواضح هذه الشروط التسعة، منها مايتعلق بطالب العلم نفسه، وصفاته العقلية و النفسية و البدنية، من عقل وذكاء وفطنة وصحة جسمية ونفسية، وأيضا باعث أو حافز أو رغبة في مواصلة التعلم، أو ما يمكن تسميته بالدافعية للتعلم، كما نسميها التربية

المعاصرة،[56] ومنها مايتعلق بالظروف المحيطة بالمتعلم، من حيث توافر الوقت لديه، وتوافر المال الكافي لمتطلبات الحياة، بحيث لا ينشغل عن العلم بالعمل الكثير أو السعي وراء الرزق، أو المرض و الهموم التي تعكر صفوه وتحول دون تفرغه للعلم، ومنها مالا دخل لطالب العلم فيه، إذ يتعلق بطول الفترة التي يقضيها في الحياة الدنيا أو قصرها، وكلما طال العمر واستثمره الإنسان في التعلم و الحصول على المزيد من العلم كان هذا أفضل.

آداب العالم(المعلم): أو خصائص المعلم الجيد: يعرض "الماوردي" مجموعة من الآداب التي يجب على المعلمين التحلّي بها والالتزام بها ويمكن تقسيم هذه الآداب إلى الأقسام التالية:

1- **مايتعلق بالجانب الأخلاقي**: وقد نص "الماوردي" أن هذه الآداب تتعلق بالجانب الأخلاقي وهو مايجب أن تكون عليه أخلاق العلماء وهي لائقة بهم وأهمها:

أ- التواضع ومجانية العجب: وهما متضادان للكبر والعجب بالنفس، وهما يمثلان انحرافا أخلاقيا يجنح بالإنسان عن سبيل الحق ومن أخطر العوامل التي تؤدي إلى الانحراف الفكري وغمط الحق وطمس معالمه وهذا إذا وجد في العلماء فإنه يكون خطيرا، لأنه يفقدهم صفتهم كالقدوة، والناس يقتدون بهم لذا وجب عليهم أن يجتبوا الكبر والعجب بالنفس، وعليهم أن يلتزموا بالتواضع، لران التواضع عطوف والعجب منفر وهو بكل أحد قبيح وبالعلماء أقبح،[57] وينعت "الماوردي" المعجب بعلمه بالتقصير والإقلال فيه وبالجهل بقدره، أما العالم الحقيقي هو من يدرك أن ما حصله من العلم- مهما عظم- قليل من كثير، فيستصغر نفسه، ويصدها عن العجب. فيقول:«وقلّما تجد بالعلم معجبا وبما أدرك مفتخرا، لا من كان فيه مقلا ومقصرا، لأنه قد يجهل قدره، ويحسب أنه نال بالدخول فيه أكثره، فأما إن كان فيه متوجها ومنه مستكثرا، فهو يعلم من بعد غايته، و العجز عن إدراك نهايته، مايصده عن العجب به».[58]

ب- احترام العلم بكل تخصصاته وعدم احتقار أي منها: أي أن يحترم العلم كل العلم، وبكل تخصصاته وفروعه، ولا يحتقر منها شيئا، فأورد ما قاله "بزرجمهر"«من العلم

أن لا تحتقر شيئا من العلم، ومن العلم تفضيل جميع العلم»[59]. وذلك حق، لأن العالم باحتقاره شيئا من العلم وتخصصاته، قد منع نفسه من الاستفادة به، وحرّم طلابه كذلك، لأنهم به يقتدوا، وأوجد من يعاديه، باحتقاره هو واحتقار مايقدمه من علم.

ج– التزّود بالعلم و الاستمرار في طلبه: فإذا طالب "الماوردي" المتعلمين بالتبكير في طلب العلم والاستمرار في طلبه، فإنه أكثر تأكيدا على المعلمين بذلك، فإننا نلاحظ أن" الماوردي" يجعل من قضية الاستكثار من العلم واستمرارية التعلم إلزاما أخلاقيا على العالم المعلم ولا ينبغي له أن يجهل من نفسه مبلغ علمها ولا يتجاوز قدر حقها لأنه سيد عن الانقياد للازدياد أما إذا تجاوز فإنه سيكف عن الازدياد فلابد وأن يقف على حال نفسه وعلمه ليعرف حاجتها لأن من جهل نفسه كان لغيرها اجهل وبالتالي فان من حاله هذه لا يصلح لوظيفة التّعلم و التربية. ويستشهد "الماوردي" في هذا المجال بحكمة قالها بعض الحكماء:«عليك بالعلم والإكثار منه فإن قليله أشبه شيء بقليل الخير وكثيره أشبه شيء بكثيره ولن يعيب الخير إلا القلة، فأما كثرته فإنها أمنية[60].

د– **العمل بالعلم:** لابركة ولا نفع في علم لا يعمل به، وأن مواكبة العمل للعلم ضروري وهام خاصة من العلماء، وبهذا يقول "الماوردي": المعلم وليكن من شيمته العمل بعلمه، وحثّ النفس على أن تأمر بما يأمر به ولا يكن مما قال الله تعالى فيهم:« مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا»(سورة الجمعة: الاية 5)

– **نشر العلم وعدم كتمانه:** قال "الماوردي":«ومن آداب العلماء أن لا يبخلوا بتعليم مايحسنون، ولا يمتنعوا من إفادة ما يعلمون». ورغّب في نشر العلم ورهب من كتمانه، فقال: كيف يجوز لهم الشّح بما أن بذلوه زاد ونما، وان كتموه تناقص، ولو استن بذلك من تقدمهم، لما وصل العلم إليهم، ولنقرض عنهم بانقراضهم، ولصاروا على مرور الأيام جهالا، وبتقلب الأحوال وتناقصها أرذالا»[61]. ثم أورد قول الحق تبارك وتعالى:« **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ** »[62]

– **التّنزه عن شبه المكاسب:** مما لاشك أن الحالة المادية والمعيشية للعالم المعلم شيء هام ومهم، إذ أن العالم إنسان من الناس له حاجاته التي يجب أن تشبع، وله احتياجاته التي لابد أن يحصل عليها، وكما قال الماوردي: إن فقد هذه يؤدي إلى ضعف النفس و الجسد، بل وضعف الدنيا كلها، وهذا لا يجوز في حق الإنسان ككل فضلا عن ذلك العالم باعتباره إنسانا»، ولهذا ينصح الماوردي أن يتنزه العالم المعلم عن شبه المكاسب و القناعة بالميسور عن كد المطالب؛ فإن شبهة المكاسب إثم وكذا الطلب ذل، والأجر – أي الثواب– أجدر به من الإثم، والعز أليق به من الذل.[63]

ثانيا: مايتعلق بالجانب العلمي و الصفات الفكرية: وهذا الجانب يتصل بالمادة أو المواد التي يقوم المعلم بتدريسها من حيث الإلمام بها و الإحاطة بأبعادها وهذا الجانب مهم جدا، لأنه لا يكف فقط الإلمام بأساسيات" المادة، بل لابد من الاطلاع على الآفاق العليا ليلم بها."فالماوردي" يرى أن على العالم المعلم أن لا يكتفي بما تعلمته، بل يشترط فيه غزارة العلم وأن يستكثر من طلبه إذن العلم أكثر من أن يحيط به بشر. قال الله تعالى:« نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ............................ (76)»،[64]

فمن أهم ملامح ذلك الجانب في فكر "الماوردي" والتي تتلخص فيمايلي:[65].

– **أهمية العلم والتوسع فيه بالنسبة للعالم المتعلم**:والعالم إذا وصل إلى الإحاطة بعلمه أو بعمله فإن هذا لايعني استغناءه عن طلب العلم إذن العلم أكبر من أن يحيط به بشر ولذلك يجب عليه أن يواصل طلب العلم،وإذا عضلت مسألة أمامه وتبيّن أنه لم يعرفها لا يتكلف بل من الجيد أن يقول لا أعلم أو لا أدري.

ثالثا: **فيما يتصل بالجانب المهني و الثقافة المهنية**:أن الجانب المهني و الثقافة المهنية هما عماد العملية التربوية و التعليمية خاصة من جانب المعلم ويقصد بهما الكفاية المهنية للمعلم بما يسمح له مزاولة مهنة التعليم والتربية بنجاح ويتصل هذا الجانب بتزويد المعلم بالخبرات الفنية والمعارف التربوية مما يساعده على فهم العملية التربوية و التعليمية، و"الماوردي" في جزء متكامل من كتاب أدب العلم يقدم مجموعة من الأفكار المتصلة بهذا

الجانب مما أطلق عليه اسم«أخلاق العالم أو آداب العالم» وهو في هذا المجال يقدم للمعلم نصائح فيما يجب أن يتحلى بها مع المتعلمين وكيفية التعامل معهم، ويمكن إبراز المبادئ التربوية التي حظيت باهتمام" الماوردي" والتي اعتبرها أساسيات في ممارسة التعليم ويمكن اعتبارها أساسيات للإعداد التربوي وهذه المبادئ هي: فهم طبيعة المتعلم وأهداف التعلم العماد الأساسي للتربية المهنية، والمعلم الجيد هو ذلك الذي يستطيع أن يفهم بعمق نفوس طلابه، وتكون لديه الرغبة الجادة في مساعدتهم على النّمو وإذا ما تواجد هذا لدى المعلم فإنه سيوفر لديه مجموعة من الصفات الأساسية اللازمة مثل حب المتعلّم واحترامه واحترام القيمة الاجتماعية والأخلاقية وغير ذلك مما يسهم في إحداث تربية وتعليم جيدين.[66]

2- الفِراسة أو الموهبة التربوية التعليمية: أنه لا يكفي وحده معرفة وفهم طبيعة المتعلمين إذ ينبغي على المعلم أن يكون موهوبا بمعنى أن تمتلك الموهبة التربوية التي تعني أنه أهل للقيام بمهمة التعليم وهذه لن تأتي عفويا ولكن يكتسبها المعلم بالتدريب الجيد المتواصل لتعطي المعلم قوة على أداءِ مهمته، وهي لا تختلف كثيرا عن الفراسة التي يقول بها "الماوردي":«فالفِراسة تثبت ونظر والموهبة التربوية و التعليمية تثبت تنتجها أسباب اقتصادية واجتماعية وغير ذلك»[67].وهكذا يركّز "الماوردي" على أهمية الفراسة للمعلم وتبدو في توسم المتعلم بها ليعرف مبلغ طاقته وقدر استحقاقه ليعطيه ما يتحمله بذكائه أو يضعف عنه ببلادته فإنه أروح للعالم وأنجح للمتعلم[68] .

3- **مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين**: وهنا يتطرق "الماوردي" لنقطة هامة، وهي تعليم كل من المتعلمين حسب طاقاته وإمكاناته، فيقول:«إذا كان المتعلم فطنان ذكيا، وجب على المعلم أن يكون عليه مقبلا وعلى تعليمه متوفرا، لا يخف عليه مكنونا، ولا يطوي عليه مخزونا، وإن كان بليدا بعيد الفطنة، فينبغي أن لا يمنع من اليسير فيحرم، ولا يحمل عليه بالكثير فيظلم، ولا يجعل بلادته ذريعة لحرمانه لذلك يطالب "الماوردي" المعلمين بأن تكون لديهم فراسة يعرفون بها إمكانات المتعلم وقدر طاقته على التعلم،

ليعاملوه وفقا لها، وهكذا كان الإمام "الماوردي" قد أشار إلى هذه الفروق في كتابه "أدب الدنيا والدين" منذ قرابة ألف عام، فقد بيّن بأن على ممتهن عملية التعليم أن يأخذ بمبدأ الفروق الفردية في حالة تعامله مع النشئ.

4- **النّصح والإرشاد والتوجيه**:لا يقتصر أمر التعليم على مجرد تعليم المادة أو المواد الدراسية، وحشو الأذهان بها، بل أن الأمر يقتضي نصح المتعلمين وإرشادهم إلى أحسن الطرق للتعليم ووسائله الصّحية الجيدة، حتى تيسر له طلب العلم، والإمام "الماوردي" لا يغيب عليه أثر هذا فينصح المعلم به حين يقول عن العلماء ومن آدابهم نصح من علموه والرفق بهم، وتسهيل السّبيل عليهم، وبذل المجهود في رفدهم ومعونتهم، إلى ذلك أعظم الأجر،واسني لذكرهم، وأنشر لعلومهم، وأرسخ لعلومهم[69] فإرشاد المعلم للمتعلمين، إلى أيسر السبل للتعلم يعد أمر ضروري، وهذا يتطلب منه الإقبال عليهم إقبال المحسن الشفيق المشفق، الحريص عليهم، يذلّل لهم الصعوبات، ويشاركهم في آلامهم وآمالهم، فإن فعل كان ذلك أدعى لعظم أجر المعلم، وأكبر عامل لنشر العلوم.[70]

5– **الرفق بالمتعلمين**: والرّفق بالمتعلمين أمر نادى به كل علماء المسلمين، ومفتاح هذا في الإقبال على المتعلمين بالحبور، فلا تقوم تربية بدون حبور، و"الماوردي"يدرك هذا الأمر، ومن آدابهم أن لا يعنفوا متعلما، ولا يحقروا ناشئا، ولا يستصغروا مبتدئا، و "الماوردي" يدرك هذا الأمر، ومن آدابهم أن لا يعنفوا متعلما، ولا يحقروا ناشئا، ولا يستصغروا مبتدئا، فإن ذلك أدعى إليهم، واعطف عليهم، وأحث على الرغبة فيما لديهم، وروي عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه قال:«علّموا ولا تعنفوا، فإن المعلم خير من المعنف».أخرجه البيهقي،[71]وفي رفق المعلمين بالمتعلمين ومساعدتهم في أمور معيشتهم تقوية الصلة بين المعلمين ومساعدتهم في أمور معيشتهم تقوية الصّلة بين المعلمين والمتعلمين. وهذا ما تؤكد عليه التربية الحديثة؛ لأن نجاح المربي يتوقف إلى حد بعيد– على غرس روح الثقة والمودة بينه وبين تلاميذه.[72]

6– **إثارة دافعية المتعلمين وتحبيبهم في العلم:**

يعتبر "الماوردي" الدافعية والباعث من الشروط الأساسية في عملية التعليم، ويتوقف عليها تحقيق الهدف من عملية التعليم في أي مجال من مجالاته المتعددة سواء في تعليم أساليب وطرق تفكير، أو تكوين الاتجاهات والقيم أو تعديل بعضها، أو تحصيل المعلومات والمعارف،[73] وحينما يتوافر لدى الإنسان دافع قوي للحصول على هدف ما، فان الحصول على الهدف الذي يشبع دافعه يعتبر ثوابا، أو مكافأة تسبب الشعور باللذة أو السرور والرضي، والفشل في الحصول على هذا الهدف يعتبر نوعا من العقاب الذي يسبب له الشعور بالألم، والضيق والكدر، [74] ويستشهد في ذلك بحديث الرسول- صلى الله عليه وسلم-«إياكم والبطنة، فإنّها مفسدة للدّين مورثة للسقم مكسلة عن العبادة....».[75]

الخاتمة: بعد عرض الدراسة لبعض الأفكار التربوية لأبي الحسن الماوردي يتبين للباحثة بعض النتائج :

يعتبر كتاب "الماوردي"- أدب الدنيا والدين، من أفضل الكتب التي استمتعت بقراءتها، واستفدت من الأفكار والآراء التربوية القيمة التي تثرها الماوردي في كتابه. فالكتاب يمتاز بسهولة عباراته، ووضوح أسلوبه؛ ويفهمه العالم والعام، فالكتاب في مجمله يحتوي على ثروة تربوية هائلة، فانه فعلا كتابا نافعا تجاوز بمعلوماته وفوائده التربوية على مرحلة ما بعد الحياة مرحلة الطفولة، كما جاءت آراء الماوردي التربوية شاملة لكل جوانب حياة الإنسان ومتكاملة مع مستلزمات الآخرة، وكانت آراؤه موزعة على أبواب الكتاب والفصول، ولم يكن بعضها محددا بإطار أو عنوان معين، بالإضافة إلى ذلك تعتبر الآراء والأسس التربوية عند الماوردي أنها أراء مستمدة من مصادر الإسلام وهو القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وهذا الاتجاه سار عليه العلماء والمربون منذ صدر الإسلام.

كما نستنتج أن الهدف الرئيسي لتربية الطفل هو إخلاص العبودية لله عز وجل؛ وأن جوانب التربية شاملة لكل جوانب شخصية الإنسان، هو ما تنادي به التربية الحديثة،

وفي هذا نادى الماوردي بجملة من المبادئ التربوية منذ ما يقرب من عشرة قرون والتي يمكن تطبيقها والاستفادة بها في مجال التربية والتعليم، وهي كمايلي : مبدأ وجوب طلب العلم، مبدأ تعلم كل العلوم النافعة مع البدء بأولاها وأهمها، مبدأ تعليم الكبار، مبدأ التنمية الشاملة للمتعلم وللمجتمع، مبدأ مجانية التعليم، مبدأ وجوب نشر العلم وعدم كتمانه، مبدأ تعليم المتعلمين كل حسب طاقته ورغبته، مبدأ تطبيق العلم والعمل به، مبدأ التنويع في أساليب التعليم والتربية، مبدأ مراعاة الفروق الفردية، مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية، مبدأ التعلم الذاتي، مبدأ التدرّج في التعليم والتعلم، مبدأ الترويح عن النّفس حال التعليم، مبدأ تقوية الصلة بين المعلم والمتعلم، مبدأ التقويم الذاتي، مبدأ الأمانة العلمية.

التوصيات: ضرورة العمل المستمر على البحث في التراث التربوي الإسلامي، مع محاولة إبرازه، واثبات هويته، وتخليصه من الشوائب، وإبراز جهود علماء الأمة الإسلامية، ودراسة فكرهم في شتى المجالات، والتعرف على إنتاجهم، وسلوكهم الذي بلّغوا به مكانة رفيعة في التربية، لأن ذلك له أهمية خاصة في حث أبناء المسلمين على تقدير أعلامهم، والسير على خطاهم، بالإضافة إلى ذلك ضرورة توظيف أساليب التربية الإسلامية عند الماوردي في المناهج والمساقات الجامعية ذات العلاقة بالتخصص وتطبيقها على العملية التربوية، وتضمينها في التربية والتعليم وخاصة في المرحلة الثانوية، كما يتعين إجراء الدراسات المقارنة بين الفكر التربوي لدى علماء الإسلام، ولدى علماء التربية المحدثين في شتى ميادين التربية تدعيما لعملية التأصيل للفكر التربوي الإسلامي، والتي تدل على السبق التربوي له على الفكر الغربي.

الهوامش والإحالات:

[1]– مقداد يالجن، جوانب التربية الإسلامية الأساسية، الرياض، مؤسسة دار الريحاني للطباعة، 1986،ص282

[2]– .عبد الغني عبود، في التربية الإسلامية، القاهرة، دار الفكر العربي، 1977م ، ص151

[3]– الزركلي،لأعلام، ج4، بيروت،دار القلم للملايين، 1992، ص327.،ج4، ص327

[4]– الزركلي، مصدر سابق، ج4،ص327

5 – محمد منير مرسي، التربية الإسلامية- أصولها وتطورها في البلاد العربية، طبعة مزيدة ومنقحة، عالم الكتب، القاهرة،2000م، ص338

6 -الماوردي، الحاوي الكبير، ج1، تحقيق محمود مسطرجي، بيروت، دار الفكر، 1414هـ/ 1994م، ص5،6،7

7 -خير الدين، مصدر سابق، ج4،ص327

8 – نفسه.

9 -ابن العماد، ....ج4، 1986، ص 286

10-ياقوت الحموي، معجم البلدان، ط1، مطبعة السعادة، القاهرة، 1906م.ج15، ص ص52-53

11-سعيد إسماعيل القاضي، أصول التربية الإسلامية، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2002م، ص234

12– ابن منظور، لسان العرب، ج1، القاهرة، دار المعارف، د.ت، ص43.

13 -أحمد عرفات القاضي، الفكر التربوي عند المتكلمين المسلمين ودوره في بناء الفرد و المجتمع، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996، ص92-93.

14 – حسان محمد حسان، ونادية جمال الدين، مدارس التربية في الحضارة الإسلامية- دراسة نظرية تطبيقية، القاهرة، دار الفكر العربي، 1984م، ص198.

15– هدى بوفرحات، قصة وتاريخ الحضارات العربية(العراق- الأردن)، ج9، بيروت، مؤسسة علي سعد وشركاه،1999م، ص71

16– ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، 1935م، دار الطباعة المنيرية، القاهرة، 1353هـ/1935م، الجزء السابع، ص ص148،147

17– علي خليل مصطفى، قراءة تربوية في فكر أبي الحسن البصري الماوردي من خلال كتاب أدب الدنيا والدين، الطبعة الأولى، دار المجتمع للنشر و التوزيع، المنصورة، دار المجتمع للنشر و التوزيع، جدة، 1990م، ص 35.

18– حسان، وجمال الدين، مرجع سابق، ص201

19– الماوردي، مصدر سابق، ص ص 152-215

20– بوفرحات، مرجع سابق،ص ص85،82.

21– عبد المجيد بدوي، .... ،ص18

22– مصطفى، مرجع سابق، ص ص 44، 45

23– الماوردي، مصدر سابق، ص42

24– سورة الزمر، الآية 9

25– الماوردي، مصدر سابق، ص42

26– الماوردي، مصدر سابق، ص45

27– الماوردي، مصدر سابق، ص46

28 -سورة التوبة ، الآية 22

29– الماوردي، مصدر سابق، 1993، ص187

30– الماوردي، مصدر سابق، ص ص106-112

31-الماوردي، مصدر سابق ، ص112

32– أبو داود، سليمان الاشعت السجستاني، سنن أبي داود، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، القاهرة، ، 2009، (6مجلدات)، أخرجه أبو داود(في السنن،ج4، ص261، رقم الحديث4833

33– الماوردي، 1993، مصدر سابق، ص ص 158-159

34 -سورة العنكبوت ، الآية 8

35. سورة الرعد، الآية 21

36– الماوردي، ص ص242-245.

[37]- الماوردي، مصدر سابق، ص ص257- 266
[38]- الماوردي، مصدر سابق، ص348
[39]-سورة ،الأنبياء الآية 8
[40]- الماوردي، 1993، مصدر سابق، ص208.
[41]- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، سنن الترمذي(الجامع الكبير)، تحقيق: بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1996.(6مجلدات).في السّنن، ج5، ص32، رقم2655
[42]- الماوردي، مصدر سابق، ص54
[43]- الماوردي، مصدر نفسه ، ص56
[44]- الماوردي، مصدر نفسه ، ص42
[45]- الماوردي، مصدر نفسه ، ص ص 43-44
[46]- الماوردي، مصدر نفسه ، ص61
[47]- الماوردي، مصدر نفسه ، ص57
[48]- الماوردي، مصدر نفسه، ص ص 54،55
[49]- الماوردي،مصدر نفسه ، ص56
[50]- الماوردي، مصدر نفسه، ص73
[51]- الماوردي، مصدر نفسه ،ص ص 73-75
[52]- الماوردي، مصدر نفسه، ص ص64-65
[53]- الماوردي، مصدر نفسه ، ص58
[54]- الماوردي،، مصدر نفسه ، ص58
[55]- حسان، ونادية جمال، مرجع سابق ، ص223
[56]- القاضي، مرجع سابق، ص275
[57]- خالد محمد علي الحاج، الإمام الماوردي وآراؤه التربوية، رسالة المعلم، المجلد الحادي والثلاثون. عمان: الأردن، 1990، ص80
[58]- الماوردي، مرجع سابق، ص 81
- الماوردي،مصدر سابق ، ص ص79-78 [59]
[60]- حسان، مرجع سابق، ص216
[61]- الماوردي ، مصدر سابق ، ص ص84-85
[62] -سورة آل عمران الآية 187
[63]- الماوردي، مصدر سابق ، ص ص 91-92
[64]- سورة يوسف، الآية 76
[65]- علي خليل أبو العينين،أصول الفكر التربوي الحديث، القاهرة: دار الفكر العربي،1986 ص347
[66]- محمد حسن العمايرة، الفكر التربوي الإسلامي، ط1، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة،2000. الأردن، ص227
[67]- أبو العينين، مرجع سابق، ص349
[68]- الماوردي، مصدر سابق، ص90
[69]- الماوردي، مصدر سابق، ص93
[70]- العمايرة،مرجع سابق، ص228

[71]- البيهقي، الإمام الحافظ أبي بكر، الجامع لشعب الإيمان، تحقيق، عبد العلي عبد الحميد حامد، ط1، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض: المملكة العربية السعودية، 2003. في الشعب،ج2، ص275، حديث رقم1749

[72]- العمايرة، 2000، ص229

[73]- سيد أحمد عثمان وأنور الشرقاوي (1978): التعليم وتطبيقاته، ط2، القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر، ص141

[74]- أبو العينين،مرجع سابق ص357

[75]- البيهقي، الإمام الحافظ أبي بكر، الجامع لشعب الإيمان، تحقيق، عبد العلي عبد الحميد حامد، ط1، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض: المملكة العربية السعودية، 2003، في شعب الإيمان،ج5، ص34، رقم5671